البنية الزمنية

البناء القصصي في القرآن الكريم

البنية الزمنية

إن دراستنا للزمن السردي، تعني أساسا دراسة العلاقات القائمة بين زمن المدلول وزمن الدال. بين زمن القصة التي وقعت بالفعل، وزمن السرد الذي يعيد صياغتها، لا كما وقعت وإنما كما يريد السارد، تركيزا على أحداث، وتركا لأحداث أخرى، تبعا لأهمية بعضها أو عدم أهميته. فإذا كان زمن القصة تاريخيا بمعنى أنه يخضع للتتابع المنطقي للأحداث وفقا لتسلسلها الزمني، فإن زمن السرد لا يخضع لأي قيد من ذلك، مما يؤدي إلى حدوث ما أطلق عليه جنت Genette اسم المفارقات الزمنية (Anachronies) الذي يعني مختلف أشكال التنافر الزمني بين ترتيب القصة، وترتيب الحكاية، وهذه المفارقات قد تكون هي بدورها استباقا (Anticipation) لأحداث لاحقة، أو استرجاعا (Rétrospection) لأحداث ماضية، ويمكن للمفارقة الزمنية- كما يقول- أن تذهب في الماضي أو في المستقبل، بعيدا أو غير بعيد عن اللحظة

الحاضرة، التي يتوقف فيـها السرد، تاركا مكانا للمفارقة الزمنية، هذه المسافة الزمنية يسميها مدي المفارقة الزمنية (Portée de l'anachronie) التي ربما اشتملت، هي نفسها، على مدة قصصية طويلة أو قصيرة، هذه المدة يسميها سعة المفارقة (Amplitude).[1]

ويمكننا وضع هذا التصور في الرسم التوضيحي التالي، حيث تمثل المسافة (أ- ب) الحكاية الرئيسية التي يتم حكيها، وتمثل حاضر السرد. هذه الحكاية ترتبط بعلاقات مع الماضي (استرجاعات: جـ- ا / هـ- و) ومع المستقبل (استباقات: د- ب / ز- و):

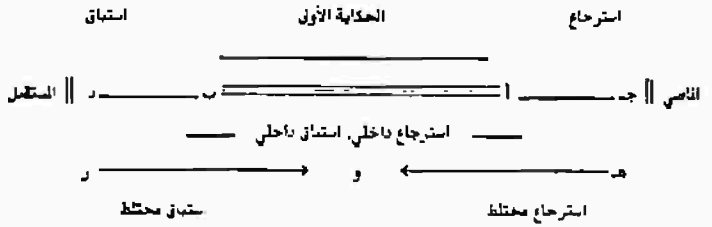

الاسترجاعات[2] (Analepses)

هي عودات إلى الماضي تمثل- قياسا إلى الحكاية المندرجة فيها- حكاية ثانية زمنيا، حيث يتوقف تنامي الأحداث باستعادة أحداث

ماضية بالنسبة لزمن السرد " وبصفة عامة، فإنه بالقياس إلى مفارقة زمنية ما، يمكن لمجموع السياق أن يمثل حكاية أولى "[٣].

والاسترجاعات تنقسم إلى ثلاثة أصناف: خارجية، وداخلية، ومختلطة: الاسترجاع الخارجي هو ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج النطاق الزمني للحكاية الأولى[٤]. والاسترجاعات الداخلية، على عكس السابقة، تظل سعتها محصورة داخل النطاق الزمني للحكاية الأولى، والنوع الثالث الاسترجاعات المختلطة، تكون نقطة مداها سابقة لبداية الحكاية الأولى، ونقطة سعتها متعدية لها[٥]. والاسترجاعات الخارجية لا توشك في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأولى لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال تلك الحكاية عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك، وليست الاسترجاعات الداخلية كذلك، حيث إن حقلها الزمني متضمن في الحقل الزمني للحكاية الأولى لارتباطها بممارسة البداية من الوسط مستعيدة السابقة السردية كلها. لذلك فهي تنطوي على خطر الحشو والتضارب.

الاستباقات (Prolepses)

هنا أيضا يميز جنت Genette بين استباقات داخلية وأخرى خارجية. حيث إن حد الحقل الزمني للحكاية الأولى يتعين بوضوح بواسطة المشهد الأخير غير الاستباقي. فالاستباقات الخارجية كذلك تظل سعتها كلها خارج النطاق الزمني للحكاية الأولى. بينما الاستباقات الداخلية تظل سعتها داخل نطاق الحكاية الأولى، تماما كما في الاسترجاع الداخلي " وتطرح الاستباقات الداخلية أنواع المشكلات نفسها التي تطرحها الاسترجاعات الداخلية، مثل التداخل. واحتمال ازدواج العمل بين الحكاية الأولى والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي[٦]. والاستباقات التكرارية قلما توجد إلا في حالة إشارات وجيزة، تُرجع مقدما إلى حدث سيروى بعد ذلك بالتفصيل- وهي في ذلك كالاسترجاعات التي من النمط نفسه- وإذا كانت الاسترجاعات التكرارية تؤدي وظيفة تذكير لمتلقي الحكاية، فإن الاستباقات التكرارية تؤدي دور إعلان له[٧] وهو يفرق هاهنا بين الإعلانات الصريحة أصلا، وما يستحق أن يسمى طلائع، التي هي مجرد علامات بلا استشراف ولو تلميحي. لن تكتسي دلالتها إلا فيما بعد " فالطليعة- بخلاف الإعلان- في مكانها من النص،

ليست- في الأساس- غير بذرة غير دالة، بل خفية لن تظهر قيمتها إلا فيما بعد، وبكيفية استعادية "[٨].

ونتيجة لدراسة العلاقات بين الزمنين: زمن الدال وزمن المدلول نجده- إلى جانب حديثه عن الترتيب، أو النظام (L'ordre)- يتحدث أيضا عن المدة أو الديمومة أو الاستغراق[٩] (La durée) وعن التواتر (La fréquence).

فعن المدة يرى جنت أن مقارنة مدة السرد القصصي بمدة القصة التي يرويها هذا السرد، عملية أكثر صعوبة من دراسة الترتيب والتواتر، وذلك لسبب بسيط هو أن أحدا لا يستطيع قياس مدة سرد ما، ومن ثم نفتقد النقطة المرجعية أو درجة الصفر التي هي في حالة الترتيب تزامن بين المتتالية القصصية والمتتالية السردية[١٠]، ومن ثم يرى أنه يجب العدول عن قياس تغيرات المدة إلى ملاحظة الإيقاع الزمني، المتمثل في الحركات السردية الأربع: الحذف، والوقفة الوصفية، وبينهما وسيطان هما: المشهد والمجمل[١١].

أما الحذف (Ellipse): فهو أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السرد، وتتمثل في تخطيه لأحداث بأكملها دون الإشارة إليها، وكأنها

ليست جزءا من المتن الحكائي؛ كإلغاء التفاصيل الجزئية أو الأحداث قليلة الأهمية في سياق ما..... إن مدة السرد هنا تساوي صفرا، بينما مدة الحكاية تشغل حيزا في التاريخ طال أم قصر. وينقسم الحذف إلى أنواع ثلاثة:

١- حذف صريح (Explicite) وينتج إما عن إشارة (محددة أو غير محددة) إلى المدة الزمنية المحذوفة، وفي هذه الحالة فإن هذه الإشارة هي التي تشكل الحذف بما هو مقطع نصي، والذي لا يساوي عندئذ الصفر تماما. وإما عن حذف مطلق (درجة الصفر في النص الحذفي) مع إشارة إلى الزمن المنقضي عند استئناف الحكاية، وهذا الشكل الأخير- يقول Genette - حذفي بصرامة أكبر، وهو ليس أكثر إيجازا بالضرورة. لكن النص يومىء في هذا الشكل إلى الإحساس بالفراغ السردي أو الثغرة إيماءة أكثر تماثلية (Analogique).

٢- حذف ضمني (Implicite) ولا يصرَّح في النص بوجوده، وإنما يُستدل عليه من ثغرة في التسلسل الزمني، أو انحلال للاستمرارية السردية.

٣- حذف افتراضي (خالص الافتراضية) (hypothétique)

وهو أكثر أشكال الحذف ضمنية، وتستحيل موقَعته. بل أحيانا يستحيل وضعه في أي موضع كان، وإنما ينم عنه استرجاع ما بعد فوات الأوان.

الوقفة الوصفية (pause): وهي، على عكس الحذف، السرعة الدنيا التي يمكن أن يسير بها السرد، و هي عبارة عن توقفات وصفية تقطع المسار الزمني للسرد، مما يعطي إحساسا بتوقف الزمن بينما يستمر السرد في تقديم الكثير من التفاصيل الجزئية، حول موضوع ما.

المشهد (scène): وفيه يترك السارد الأحداث تتوالى بنفسها دون تدخل منه، فتتركز الأحداث من ثم وتعرض بكل تفاصيلها، وفيه يتطابق زمن القصة وزمن الحكاية.

المجمل (sommaire): هو اختصار أحداث جرت في عدة أيام، أو شهور، أو سنوات في بضع فقرات أو بضع صفحات، دون تفاصيل أعمال أو أقوال[١٢]، وهو ربما يشغل مكانة محدودة في مجموع المتن السردي، ويمثل وسيلة الانتقال الأكثر شيوعا بين مشهد وآخر، أو يمثل الخلفية التي يتمايز كلاهما عليها.

وأما عن التواتر السردي (La fréquence) أو علاقات التكرار بين القصة والسرد، فإن ذلك لم يدرس إلا قليلا قبل جنت[١٣]، الذي يراه مظهرا من المظاهر الأساسية للزمنية السردية، إذ إن الحدث ليس بقادر على الوقوع فحسب، بل يمكنه كذلك أن يقع مرة أخرى، أو أن يتكرر عدة مرات، وفي المقابل فإن الملفوظ السردي هو الآخر يمكنه أن يقع مرة أخرى، أو أن يتكرر عدة مرات. وبين قدرة الحدث، وقدرة الملفوظ السردي على التكرار يقوم نسق من العلاقات. فيمكن لحدث وقع مرة واحدة أن يُروى مرة واحدة، ويطلق على هذا النمط اسم الحكاية التفردية (récit singulatif) وهي تخرج بذلك عن حد التواتر؛ إذ ليس هناك تكرار لا على مستوى الحدث، ولا على مستوى السرد. وأما النمط الثاني ففيه يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية، ويرده إلى النمط الأول لتوافق تكرارات الحكاية مع تكرارات السرد. فهو يرى أن التفردي لا يتحدد بعدد مرات وقوعه من الجانبين، بل بتساوي هذا العدد. والنمط الثالث: أن يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة، وهذا النمط يسمى الحكاية التكرارية (récit répétitif) وأما النمط الرابع ففيه يُروى مرة واحدة ما وقع مرات لا نهائية، ويسميه (récit itératif)[١٤] هذا ونلفت إلى أن جنت Genette يرى

أن التكرار بناء ذهني يتحقق باستبعاد خصوصية كل حدث، مع الاحتفاظ بالمشترك بين الأحداث المتشابهة ويكون ذلك بتجريد الأحداث من سياقاتها، ومن دلالات مواقعها الخاصة التي تكسبها دائما معنى جديدا يخرجها من دائرة التكرار.

ولنبدأ الآن بوصف البنية الزمنية للقصة القرآنية، لنرى كيف تتشكل العلاقة بين زمن الحكاية، وزمن الخطاب.

قصص آدم عليه السلام

أ- في سورة ص

تبدأ القصة بمشهد استباقي إعلاني لما سيكون من خلق آدم من طين، ومن ثم طلب الله إلى الملائكة أن يسجدوا له ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ يلي ذلك حذف زمني لمدة إنجاز الخلق، هذا الحذف يؤدي دورا مهما في إضاءة جانب من جوانب صفات الملائكة هي: الطاعة والتسليم دون إبطاء، حيث يلي ذلك إيجاز لأحداث سجود

الملائكة واستكبار إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ ثم تختم القصة بمشهد حواري طويل بين الله وإبليس: إبليس يطلب الإنظار إلى يوم البعث والله تعالى يجيبه إلى طلبه، ويتوعده هو ومن سيتبعه أجمعين.

وفي القصة يتجلى التواتر السردي في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾ مستعملا الفعل المضارع للدلالة على تجدد الإغواء واستمراره إلى يوم البعث. فالقصة ماضية مستعادة، والإغواء متجدد مستمر. تبدأ القصة بالفعل الماضي ثم لا تنتهي بل تنفتح على المستقبل إلى يوم البعث. فحاضر إنجاز السرد بعيد جدا عن واقع القصة التاريخي، لكنهما يتزامنان في المشهد حيث يصبح زمن السرد هو نفسه زمن القصة، ونصبح وكأننا حضور نشاهد ذلك المشهد الذي يدور أمام أعيننا، ونستمع إلى الحوار الذي يحمله. وبدهي أن ناقل الحوار لابد وأن يكون قد استمع إليه من قبل. فكيف لمحمد ﷺ أن يأتي به لولا الوحي ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأعلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾.

ومن ثم يتشكل السرد على النحو التالي:

↰مشهد← حذف← إيجاز← مشهد..↱

فالمشهد على هذا يؤطر السرد القصصي هاهنا ويهيمن عليه.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة مع لحظة إنجاز سردي متأخرة كثيرا جدا عن زمن وقوع الأحداث، يخاطب الله تعالى البشرية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ثلاث لقطات سريعة: الخلق، والتصوير، وسجود الملائكة وامتناع إبليس. يلي ذلك مشهد حواري طويل بين الله وإبليس، تتجلى فيه سمة من سمات التواتر ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ فثم فعل يتكرر كثيرا هو إغواء إبليس لآدم وذريته، وإبليس لا يدخر وسعا في هذا السبيل، ويعبر السرد عن ذلك بتكرار الإغواء في كل مرة بشكل مختلف، ينتهي بوقوع الإنسان في دائرته التي تحيط به من كل جانب: من الأمام، ومن

الخلف، وعن اليمين، وعن الشمال.. وينتهي المشهد بإخراج إبليس مذؤما مدحورا مُتَوَعَّدا هو ومن تبعه. ومن ثم يلتفت السياق إلى آدم يخاطبه ربه ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ التفات مباشر من خطاب إبليس وما فيه من عقاب إلى خطاب آدم، وتحذيره أن يقرب هذه الشجرة. وبعد حذف دال على ما كان من سكنى آدم وزوجه الجنة، يأتي مشهد فيه ما كان من إغواء الشيطان لهما ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) ﴾.... وحدث الوسوسة هاهنا يعد مشهديا هو الآخر، فبالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر تمثيلا للمشهد، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا[١٥] فالمفارقة الزمنية التي بدأ بها السرد يتقلص مداها البعيد مع المشهد الحواري بين الله وإبليس، حيث يتزامن كل من المبنى الحكائي والمتن الحكائي حتى نهاية الحكاية، التي تنفتح على زمن آخر لاحق لزمن جريانها ﴿ يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عليكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) ﴾.... فالمشهد مستمر

بخطاب الله تعالى إلى بني آدم، الذي يبين فيه أن ثم لباسا معنويا، غير اللباس المادي، هو ذلك الذي نُزع عن آدم وزوجه، وهو الذي يحذرنا الله تعالى أن نقع فيه مرة أخرى- إنه لباس التقوى، أي دوام الخوف من الله الجليل.

جـ- في سورة طه

تبدأ القصة باستباق تمهيدي (داخلي) ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ بعد ذلك تبدأ الحكاية بسجود الملائكة وامتناع إبليس، وتحذير آدم من عداوته، لكنه ينسى التحذير ويستمع لوسوسة الشيطان ويعصي ربه فيغوى ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عليهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾ هكذا في إيجاز سريع، لنعود إلى المشهد مع الهبوط إلى الأرض، الذي يحمل معنى التجدد والتكرار: تجدد العداوة، وتكرار الرسالات ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾ ويتحول إذ ذاك الزمن إلى المشهد الاستباقي (الخارجي) حيث ننتقل إلى الآخرة ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾ هاهنا أيضا يبدأ السرد

بمفارقة واسعة المدى، ما تلبث أن يتلاشى مداها مع المشهد الحواري الذي يسيطر على السرد، فيلغي المسافة الفاصلة بين زمني السرد والقصة، ويصبح من ثم زمن القصة هو زمن السرد.

د- في سورة الإسراء

هاهنا تتكون القصة كلها من مشهد استعادي، نرى فيه تكريم الله لآدم حيث أمر الملائكة بالسجود له، ونرى فيه حسد الشيطان لآدم وعصيانه لأمر الله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ ثم حوار طويل بين الله وإبليس، يتجلى فيه التواتر السردي الذي يأتي دائما مع توعد إبليس لبني آدم ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذا الَّذِي كَرَّمْتَ على لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) ﴾ فما يزال إبليس يستميل ذرية آدم، ويجتهد في إغوائهم وإضلالهم إلى يوم القيامة. وكذلك في قوله تعالى ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عليهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ نجد حدث الإغواء يتكرر في صور مختلفة في كل مرة، ولكن تكراره هاهنا يتم من وجهة نظر مختلفة. فهو في النهاية، وبعد كل ما أخبره به الله،

أعجز عن أن يستطيع شيئا، فلا سلطان له على أحد، بله أن يكونوا هم عباد الله.

هـ- في سورة الحجر

هاهنا تبدأ القصة باستباق إعلاني، يكشف عن طبيعة المادة المكونة لكل من الإنسان والجان، هذه الطبيعة التي سيكون لها دور مهم في توجيه الأحداث فيما بعد ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ يلي ذلك مشهد حواري بين الله تعالى والملائكة، نرى فيه أثر تلك الطبيعة، وكيف أن السبب الرئيس الذي تعلل به إبليس لرفضه السجود لآدم، هو أن آدم مخلوق طيني ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يا إبليس مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) ﴾ ومن ثم يلي مشهد حواري طويل بين الله وإبليس، نجد فيه التواتر السردي الذي يتجلى دائما في هذا الحوار. يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ عليكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾ فاللعنة متجددة على إبليس إلى يوم الدين،

وفي المقابل يرد إبليس: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ فتزيينه المعاصي، وإغواؤه لبني آدم مستمر متجدد أيضا إلى يوم البعث. فلحظة إنجاز السرد تفصلها مسافة كبيرة عن زمن وقوع القصة، لكن المشهد الحواري الذي يسيطر على المبنى الحكائي، يمنحنا إحساس المشاركة برؤية الأحداث كما وقعت، لحظة بلحظة، وكلمة كلمة مستغرقا الزمن نفسه الذي يحتاجه الحوار.

و- في سورة البقرة

تبدأ القصة بمشهد، يُذكِّر فيه صاحب الوحي جل وعز نبيه الكريم ﷺ بقصة استخلاف آدم، عليه السلام، في الأرض التي جعلها الله للناس جميعا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ وللمرة الأولى، في قصص آدم عليه السلام، نسمع صوت الملائكة في حوار مع الله. دائما كان إبليس هو صاحب الحوار، لكن لا صوت له هنا، فقط صوت الملائكة، في تساؤل حيي، لا في مراجعة وقحة كما كان من إبليس، استفسارا عن الحكمة من أن يجعل الله في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، ويقرنون تساؤلهم

بأنهم يسبحون بحمده ويقدسون له، بما يوحي بخوفهم من أن يكون قد وقع منهم تقصير أوجب جعل هذا الخليفة.

ويلي ذلك إيجاز، يومىء إلى استعداد آدم للعلم، وربما كان ذلك هو سر استخلافه[١٦] ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٣١) ثم يعود المشهد الذي يهيمن على القصص، يتخلله إيجاز من حين لآخر، لأحداث ينبغي معرفتها إجمالا ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (٣٦) ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عليهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ نرى من خلاله كرامة آدم على الله تعالى، وما كان من خطيئة، وتوبة، وهبوط إلى الأرض مشمول برعاية الخالق سبحانه وتعالى.

قصص نوح عليه السلام

أ- في سورة القمر

تعرض القصة في أربع صور متتالية شديدة الإيجاز ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) ﴾ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) ﴾ ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١)

وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ﴾ ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴾ في هذه الصور نجد خلاصة الأحداث. لا نجد تاريخ الدعوة الطويل، وما صاحبه من تحولات، بل نجد تكذيب الدعوة، والاستنصار، ومن ثم الإهلاك والنجاة. إن الدعوة لفي بداياتها، وكفار مكة يسارعون بالتكذيب، وقبلهم كذب قوم نوح.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة بمشهد استعادي، بالنسبة لحاضر السرد ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾.... وما بعدها، فيه ما كان من إرسال نوح عليه السلام ودعوته وتكذيب قومه، وتنتهي بإيجاز يجمل أحداثا كثيرة مفصلة في غير هذا الموضع ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ وليس السياق في حاجة إلى تفصيل، فهكذا كان موقف قوم نوح من دعوة نبيهم لهم، وهكذا فعل الله بهم، والله لا يهلك قوما إلا بعد أن يرسل إليهم من يدعوهم، ويبين لهم طريق الهدى.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق تمهيدي، يعلن عن قصدية القصة ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ ثم يأتي تفصيل ذلك التكذيب في مشهد حواري بين نوح عليه السلام وقومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليه مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) ﴾.... وتنتهي بإيجاز، يجمل عاقبة هؤلاء القوم المكذبين، مقرونا بجزاء الفريق المؤمن ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ﴾ وما زال المشهد الحواري هو النمط المهيمن في القصص.

د- في سورة يونس

في مشهد تعرض القصة ما كان من تحدي نوح عليه السلام لقومه، ثم تأتي الخاتمة في إيجاز ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) ﴾.

هـ- في سورة هود

تبدأ القصة بمشهد استعادي ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) ﴾ ويستمر حوار طويل بين نوح وقومه. يقطعه مشهد خارجي عن القصة ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) ﴾ لنعود مع مشهد استباقي ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) ﴾ ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عليه مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ في تواتر وتكرار، فالسخرية تتكرر لأن المرور يتكرر. ثم يعود المشهد الحواري المهيمن دائما ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عليه عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) ﴾ ثم يلي ذلك حذف غير خالص ﴿ حتى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ أي أن الأمر ظل على هذا النحو من سخرية قومه، وصبره على أمر الله بصناعة الفلك، حتى جاء أمر الله وفار التنور. ومن ثم يعود المشهد الحواري ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عليه الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ ويستمر المشهد يتخلله إيجاز يُجمل

أحداث ما بعد الطوفان ﴿ وَقِيلَ يا أرض ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ وتختم القصة بحوار بين الله تعالى ونوح عليه السلام حتى ﴿ قِيلَ يا نوح اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عليكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾.

و- في سورة نوح

تتكون القصة من مشهد طويل، يبدأ باستباق إعلاني يكشف عن وظيفة نوح عليه السلام في السرد، وهي الإنذار ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) ﴾.... يتخلله إيجاز ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) ﴾ وتنتهي بالمشهد ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا(٢٨) ﴾.

ز- في سورة المؤمنون

تتكون القصة كلها من مشهد حواري بين نوح عليه السلام وقومه من جهة، وبين نوح وربه من جهة أخرى.

ح- في سورة العنكبوت

هاهنا للمرة الأولى تتحدد مدة المحذوف ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١٤) ﴾ وهاهنا نرى كيف أن الحذف حذف بلاغي دال. فقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ يدل بوضوح على ما كان منهم في هذه المدة الطويلة من ظلم أوجب أخذهم بالطوفان. إنه ليس حذفا بقدر ما هو إيجاز.

قصص هود عليه السلام

أ- في سورة القمر

تبدأ القصة من النهاية وبعد تكذيب عاد، باستباق يعلن عن وجهة السرد ﴿ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) ﴾ ومن ثم توجز كيف كان عذاب الله الواقع بهم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) ﴾ فالمسافة الفاصلة بين اللحظة الحاضرة للسرد ووقت وقوع الأحداث

مسافة كبيرة، فالسرد كله استرجاع لقصة نموذج من المكذبين والعقاب الذي حاق بهم في الدنيا.

ب- في سورة الأعراف

تأتي القصة في مشهد حواري بين هود الرسول عليه السلام وقومه، منذ إرساله وتكذيب قومه له (٦٥- ٧١) إلى أن تختم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق (إعلاني) ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ ثم تعود إلى تفصيل هذا التكذيب في مشهد حواري بين هود عليه السلام وقومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) ﴾... إلى أن تختم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾.

د- في سورة هود

تأتي القصة في مشهد حواري بين هود عليه السلام وقومه منذ أن بدأ دعوته لهم ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ مبصّرا إياهم بطرق الفوز والنجاة، وهم يكذبون، ويكذبون (٥٠- ٥٧) إلى أن تأتي الخاتمة موجزة ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾.

ثم يأتي تذييل للقصة في استرجاع يتضمن استباق العليم ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾.

هـ- في سورة الأحقاف

تبدأ القصة باسترجاع، يذكر بما كان ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عليكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾ يلي ذلك مشهد حواري بين هود عليه السلام وقومه: هو يدعوهم إلى الله وهم يكذبون، ويستعجلون ما يعدهم به من العذاب لجهلهم؛ فتأتي النهاية في إيجاز مختلط بحوار ﴿

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾ لكن من صاحب الخطاب هنا؟ قد يكون هودا هو الذي يرد عليهم، وقد يكون صوتا آخر، وهو الأقرب، لقوله تعالى في ختام القصة ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾.

قصص صالح عليه السلام

أ- في سورة القمر

تبدأ القصة منذ التكذيب باستباق ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) ﴾ ثم يلي مشهد (حواري) نرى فيه كيف كان تكذيبهم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عليه مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) ﴾ ونسمع ذلك الصوت البعيد- العالي- العليم يرد عليهم ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ

كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) ﴾ ثم قطع (حذف) تليه النهاية في إيجاز ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) ﴾.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة مع دعوة صالح عليه السلام لقومه بمشهد حواري ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ ونحن هنا مع حذف كذلك، فصالح عليه السلام أرسل إلى قومه، وكان بينهما ما كان مما يفصل في أماكن أخرى، ثم كانت الناقة آية لهم، لكن الناقة تأتي هنا منذ البداية، ثم في استرجاع يذكرهم بفضل الله عليهم ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) ﴾ ويستمر الحوار لكن هذه المرة بين المكذبين من قومه والمؤمنين ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) ﴾ ثم حذف يُعلم من سياقات أخرى

فإيجاز النهاية ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يا صالح ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ هل هي استرجاع ؟ إذ بعد هلاكهم يعود السياق إلى ما كان من صالح عليه السلام تجاه قومه في نهاية دعوته لهم، وبعد إياسه منهم. أم هي خاتمة طبيعية، تأتي في ترتيبها التراتبي حين تولى صالح عليه السلام عن قومه بعد هلاكهم متحسرا عليهم ؟ الأقرب أنها الأولى، فهو خاطب قومه نافضا يديه منهم؛ فقد بذل قصارى ما يستطيع من جهد في سبيل هدايتهم، ولكنهم قوم مفسدون، لا يحبون الناصحين. ثم تولى عنهم. والجملة الثانية معطوفة على الأولى بالواو التي تسمح بالسبق والتأخر على السواء.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق يوحي بطبيعة القصة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴾ ثم يلي مشهد حواري بين صالح عليه السلام وقومه: دعوة وتكذيب (١٤٢- ١٥٦) إلى أن تأتي الخاتمة في إيجاز بعد قطع معلوم من سياق آخر، إذ حذرهم صالح أن يمسوا الناقة بسوء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا

نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) ﴾.

د- في سورة النمل

تبدأ القصة بإيجاز يجمل الحكاية ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) ﴾ وتستمر في مشهد حواري بين صالح وقومه، إلى أن يتوقف الزمن مع وصف تسعة الرهط في المدينة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) ﴾ ومن ثم يكتمل الحوار بين قومه بعضهم البعض في المكر له، لتأتي الخاتمة موجزة مختلطة بوصف ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾.

هـ- في سورة هود

يهيمن على القصة مشهد حواري بين صالح وقومه (٦١- ٦٥) وتختم بإيجاز ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨) ﴾.

قصص لوط عليه السلام

أ- في سورة القمر

تبدأ القصة بإيجاز ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) ﴾ ثم قطع فالخاتمة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥) ﴾ وبعد ذلك يعود السياق في استرجاع خارجي [بالنسبة لبداية القصة (التكذيب) ونهايتها (الإهلاك والنجاة) هاهنا] إلى ما قبل التكذيب ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) ﴾ ثم نعود في استرجاع داخلي (داخل القصة المذكورة هاهنا) ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) ﴾.

ب- في سورة الأعراف

تبدأ القصة مع دعوة لوط عليه السلام في مشهد حواري بينه وبين قومه. هو مهموم بدعوتهم ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾ وهم يكذبون، ويأتي تكذيبهم في إيجاز دال على فساد طبيعتهم ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) ﴾ ونستمر مع الإيجاز في عرض النهاية ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عليهمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾.

جـ- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق إعلاني ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) ﴾ ثم يأخذ السياق مساره الطبيعي مع دعوة لوط لهم، وتكذيبهم له، في مشهد حواري ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليه مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا

لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لوط لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) ﴾ ومن ثم تأتي الخاتمة في إيجاز حين دعا ربه ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عليهمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) ﴾ والآية الأخيرة تمثل استرجاعا داخليا؛ فالتدمير نتيجة يحدثها المطر.

د- في سورة هود

تبدأ القصة مع مجيء الرسل إلى لوط، في إيجاز يجمل الموقف النفسي لرسول الله ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) ﴾ ثم تنتقل إلى مشهد حواري بين لوط عليه السلام وقومه، هم يريدون ضيفه وهو يحاول منعهم (٧٨- ٨٠) يكتمل بحوار آخر بين لوط والملائكة، حيث يكشفون له عن حقيقتهم ويطلبون منه الرحيل (٨١) ومن ثم تأتي الخاتمة في إيجاز سريع ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عليها حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾.

هـ- في سورة الحجر

تبدأ الإشارة إلى قصة لوط باسترجاع خارجي لجانب من قصة إبراهيم عليه السلام حين ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ وبعد ذلك يأخذ السياق في عرض قصة لوط عليه السلام، فتبدأ بمشهد حواري بين لوط والملائكة يكشفون فيه حقيقة أنفسهم ويطلبون منه الرحيل (٦١- ٦٥) ثم يُجمَل الأمر في استباق (العليم) ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) ﴾ يلي ذلك، على عكس القصة السابقة، مشهد حواري بين لوط عليه السلام وقومه يريدون ضيفه ويحاول منعهم (٦٧- ٧١) وهنا يطرح سؤال نفسه: هل هذا المشهد الأخير يأتي متأخرا عن سابقه (استرجاعا)؟ أم أن هذا هو الترتيب الطبيعي للقصة ؟ مما يجعلنا نتساءل كذلك: إذا كان لوط يعرف بالفعل حقيقة الملائكة فلماذا يكبد نفسه مشقة الدفاع عنهم ؟! ثم في إيجاز تأتي الخاتمة ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عليهمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤) ﴾.

و- في سورة العنكبوت

تبدأ القصة مع دعوة لوط عليه السلام قومه في مشهد حواري ينكر عليهم ما يفعلون، وهم يستهزئون به ويطلبون العذاب، فيستنصر بربه (٢٨- ٣٠) ثم نعود في استرجاع خارجي إلى قصة إبراهيم عليه السلام في حواره مع الملائكة ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) ﴾ ثم يأتي مجيء الملائكة وضيق لوط بهم في حوار موجز ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) ﴾ ومن ثم لا تأتي الخاتمة المعتادة التي تصف حدث الإهلاك والنجاة، وإنما تأتي إشارة إلى ذلك وفي الوقت نفسه إلى العبرة من القصة ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ﴾.

قصص شعيب عليه السلام

أ- في سورة الأعراف

تبدأ القصة، كقصص سورة الأعراف، بمشهد دعوة شعيب عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده، وهم يكذبون ويستكبرون، وشعيب يستنصر بربه (٨٥- ٩٠) فينصره، بإهلاكهم في إيجاز شديد ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾ ثم فاصل يجمل العبرة من القصة: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ هل هي استرجاع يعود إلى ما قبل نهاية القصة، حيث أيس من تحولهم عن كفرهم، فقال ما قال؟ أم أنها تقع في ترتيبها الزمني الطبيعي؟ وهو الأقرب هاهنا، فهو يتولى عنهم بعد هلاكهم مسترجعا ما كان بينه وبينهم، إذ أبلغهم رسالات ربه، ونصح لهم، لكنهم كفروا، وكذبوا، فلم يستحقوا أن يأسى عليهم بعد أن أهلكوا جزاء كفرهم.

ب- في سورة الشعراء

تبدأ القصة باستباق تمهيدي ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) ﴾ ثم يأتي تفصيل هذا التكذيب في مشهد حواري بين شعيب وبينهم، هو يدعوهم، وهم يكذبون ويطلبون العذاب (١٧٧- ١٨٨) ومن ثم تأتي الخاتمة سريعة في إيجاز شديد ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) ﴾.

جـ- في سورة هود

تبدأ القصة مع دعوة شعيب لقومه بمشهد حواري، يستغرق القصة بطولها.... (٨٤- ٩٣) ومن ثم تأتي الخاتمة موجزة في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾.

قصص موسى عليه السلام

أ- في سورة الأعراف

تبدأ الحكاية باستباق تمهيدي، داخلي، يجمل القصة ويحدد اتجاه السرد، وأنه سيكون مكرسا لعرض ما كان من ظلم فرعون وملإه حيث كفروا بآيات الله، وما كان من عقاب الله لهم جزاء هذا الكفر ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ موسى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾ ومن ثم تبدأ الحكاية مع ذهاب موسى إلى فرعون رسولا من رب العالمين، ليبدأ المشهد الحواري بينهما ﴿ وَقَالَ موسى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ﴾ يقطع الحوار سرد موجز لما جاءهم به موسى من معجزات ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) ﴾ ليعود المشهد الحواري من جديد بين فرعون وملإه الذين أشاروا عليه بمحاربة موسى بالسحرة المهرة (١٠٩- ١١٢) وبعد حذف يكتمل الحوار بعموت السحرة مع فرعون (١١٣- ١١٤) يسألونه

عن أجرهم إذا هم غلبوا، ثم مع موسى (١١٥- ١١٦) ليحددوا الباديء بعرض سحره. ثم تأتي أحداث اللقاء بين موسى والسحرة موجزة ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى موسى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) ﴾ ثم يعود المشهد الحواري بين فرعون والسحرة (١٢٣- ١٢٦) يكشف عن إيمان عميق تنطوي عليه قلوبهم؛ لرؤيتهم شيئا غير السحر فيما أتاهم به موسى؛ فسحرهم باطل، وهم يعلمون ذلك، وموسى جاءهم بحق لم يألفوه من قبل في صناعتهم هذه، فهي إذن معجزة، وليست ضربا من ضروب السحر التي يعرفونها. ومن ثم يتجدد الحوار بين فرعون وقومه ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ موسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾ وبين موسى عليه السلام وقومه ﴿ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾

وبعد هذا تكتمل الأحداث بإيجاز نعرف من خلاله ما وقع بآل فرعون من عقاب ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عليهمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عليهمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ يتخلل هذا الموجز، الذي يجمل أحداث نهاية فرعون وقومه، مشهد قصير يعود إلى الظهور مرة بعد مرة ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾ ﴿ قَالُوا يَا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) ﴾ وفيه كذلك نجد التواتر الذي يحمله تكرار إرسال العقاب على آل فرعون في صور مختلفات: ﴿ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ لعلهم يعودون عما هم فيه من ضلال، وتسير الأحداث بعد ذلك يغلب عليها المشهد الحواري بين موسى وقومه (١٣٨- ١٤١) وبينه وبين ربه (١٤٣- ١٤٧) إلى أن تأتي نهاية الحكاية في إيجاز يتخلله بعض المشاهد الحوارية السريعة، لدى عودة موسى ولقائه بأخيه هارون ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) ﴾ أو عند دعاء موسى حيث ذهب مع السبعين رجلا من قومه لميقات ربه ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

كُلْ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾.

ب- في سورة طه

تبدأ الأحداث بمشهد حواري طويل بين موسى وربه. يختاره الله رسولا إلى فرعون، بعد أن يريه من آياته الكبرى (٩- ٣٦) ويكتمل الحوار في شكل استرجاع خارجي يذكره فيه ربه بما منّ عليه به من قبل ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عليكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عليكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾... (٤١) ثم يستعيد الحوار زمنه الأصلي، ليبدأ التكليف بالرسالة ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) ﴾... (٤٨) ويستمر الحوار مع تغير الشخصيات، بعد قطع زمني غير محدد، يتحول معه الحوار من التكليف إلى الدعوة ﴿ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا موسى (٤٩) ﴾.... (٧٦) ويتخلل هذا الحوار

الطويل، الذي يهيمن على الحكي، سرد موجز، يجمل أحداثا كثيرة ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) ﴾ ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) ﴾ وكذلك قطع زمني يتخطى أحداثا لا يحتاج السرد إليها ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا موسى (٤٩) ﴾ ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) ﴾ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَموسى (٧٠) ﴾ ويستمر الحوار حتى نهاية الحكي، مع تغير الشخصيات المتحاورة: موسى وربه- موسى وقومه- هارون وقومه- موسى وهارون- موسى والسامري. ومن المفارقات الزمنية كذلك نجد الاسترجاع الداخلي الذي يذكر فيه الله بني إسرائيل بأعظم نعمه عليهم ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عليكُمُ الْمَنَّ والسلوى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عليكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عليه غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١) ﴾ والاستباق الداخلي الذي يُعلم الله فيه موسى بما فعل

السامري من إضلال قومه ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾.

جـ- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي، مع تكليف موسى. بمشهد حواري بينه وبين ربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ موسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) ﴾.... (١٧) ويستمر المشهد الحواري مع تغير الشخصيات، حين يذهب موسى وهارون إلى فرعون ليبلغاه رسالة ربه ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾... (٣٣) ونلاحظ القطع الزمني بين الإرسال والدعوة، يُحذف فيه مضمون الرسالة التي جاء بها موسى وهارون، لأننا نعلمها من قبل. ويمتد المشهد الحواري بين فرعون وقومه، ثم بينه وبين السحرة يمنّيهم الأماني إذا هم غلبوا موسى، فيُغلبون. ويستمر الحوار بينهم وبين فرعون يتوعدهم بالعذاب لإيمانهم برب موسى وهارون، وهم يطمعون في مغفرة الله ربهم أن كانوا أول المؤمنين (٤١- ٥١) ثم يأتي الإعلان الذي خرج به فرعون على الناس ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ

حَاذِرُونَ (٥٦) ﴾ الذي يحمل طابعا مشهديا هو الآخر، ليكمل هيمنة المشهد على الحكي- ويأتي في الوقت ذاته إعلانا لنهاية فرعون، فقد بلغ به الكِبْرُ كل مبلغ، فتأتي النهاية مجملة موجزة، على هيئة استباق داخلي يؤكد هوانه وضعفه وقلة حيلته ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ويكتمل الحكي بعد ذلك في إيجاز يتخلله مشهدان أحدهما حوار قصير ﴿ قَالَ أَصْحَابُ موسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢) ﴾ والآخر وحيد الصوت ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾.

د- في سورة القصص

تبدأ الحكاية هاهنا باستباق تمهيدي، نعرف فيه ما سيكون من شأن الحكي بعد ذلك ﴿ نَتْلُوا عليكَ مِنْ نَبَإِ موسى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ فهي قصة موسى عليه السلام، وفرعون الذي علا

واستكبر، واستضعف أمة يريد الله أن يمن عليها، ويمكّن لها في الأرض!..

ومن ثم يبدأ الحكي مع الطفولة الباكرة لموسى، ومع حيرة أمه، في مشهد حواري، يتضمن استباقا داخليا يطمئنها فيه الوحي على ابنها وعلى مستقبله ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عليه فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ يليه إيجاز مدة الطفولة وما كان فيها. بعد إلقاء موسى في اليم بأمر الله، من التقاط آل فرعون له، وفيه استباق داخلي لما سيكون من أمره معهم ﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) ﴾ ومن ثم طلب امرأة فرعون الإبقاء عليه، واتباع أخته له، وتحريم المراضع عليه، وإعادته من ثم إلى أمه ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾.

وتمضي الطفولة، وبعد قطع مشار إليه، ننتقل إلى شباب موسى حيث يوجز الحكي حدث قتله للقبطي، وخوفه من انكشاف أمره، وخروجه إلى مدين ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ

فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾... (٢٢) يتخلل هذا الإيجاز مشاهد قصيرة ﴿ قَالَ هَذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾ ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ موسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) ﴾ ﴿ قَالَ يا موسى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) ﴾ ﴿ قَالَ يا موسى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) ﴾ ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(٢٢) ﴾.

ويستمر تداخل المشهد الحواري والإيجاز، واقتسامهما الحكي، إلى أن يبدأ موسى في العودة إلى مصر (٢٣- ٢٩) ويبدأ تكليف الله له بالدعوة. فيعود المشهد الحواري ليهيمن على الحكي مرة ثانية. شأن كل الأحداث المهمة ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا موسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾... (٣٥).

ويستمر المشهد كذلك في دعوة موسى آل فرعون، بعد حذف يدل عليه السياق ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ موسى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ موسى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعلى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ موسى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ﴾ وتأتي الخاتمة في إيجاز يشير إلى سهولة الأخذ، وضعف المأخوذ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

تتكون الحكاية من خمسة مقاطع سردية متتالية زمنيا، تبدأ بمشهد استباقي داخلي، لا يلتزم فيه السرد بتوجه معين للأحداث ﴿ وَإِذْ قَالَ موسى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) ﴾ يترك المتلقي في حالة تساؤل عن مصير موسى كيف سيكون؟! لكن وبعد حذف لأحداث ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ

سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ﴾ وكان موسى ينتظر هذه العلامة ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (٦٤) فهناك ما خرجا من أجله ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ ومن ثم يدور حوار بين موسى والعبد الصالح يستمر حتى النهاية يتخلله إيجاز في مواقع مختلفة ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إذا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ (٧١) ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إذا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ (٧٤) ﴿ فَانْطَلَقَا حتى إذا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ (٧٧) وأربع مرات نجد استرجاعا داخليا حين يذكر العبد الصالح موسى بما قال له من قبل ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) ﴾ فنجد ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) ﴾ ونجد ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٧٥) ﴾ و﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا (٧٨) ﴾ وفي الخاتمة ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عليه صَبْرًا (٨٢) ﴾.

قصة يوسف عليه السلام

تتكون القصة من ثمانية مقاطع سردية تتوزع على أربعة عشر موقعا زمنيا: المقطع الأول رؤيا يوسف (٤- ٦) موقع زمني واحد يبدأ بمشهد استباقي تمهيدي بين يوسف وأبيه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ... (٦) ﴾ نرى فيه تلك الرؤيا التي سيكون لها شأن فيما بعد، ونتعرف طبيعة العلاقة بين يوسف وإخوته، وبين يوسف وربه. ومن ثم تبدأ القصة مع المقطع السردي الثاني حسد الإخوة (٧- ١٨) الذي ينطوي على أربعة مواقع زمنية متتالية تاريخيا، يهيمن فيها المشهد الحواري يتخلله الحذف والإيجاز، فنحن نبدأ بحوار بين إخوة يوسف أنفسهم، وبينهم وبين أبيهم، نرى فيه تفصيل العلاقة بينهم وبين يوسف: (٨- ١٨) وفي هذا المشهد نجد حذفا يَفْصل حوار الإخوة مع أنفسهم (الموقع الزمني الأول) وحوارهم مع أبيهم (الموقع الزمني الثاني) ونجد إيجازا يجمل الأحداث ما بين ذهابهم بيوسف وعودتهم بدونه إلى أبيهم (الموقعين الزمنيين الثالث والرابع) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ

وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ بعد ذلك ينتقل السياق إلى يوسف فيوجز جانبا من حياته (١٩- ٢١) ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عليمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾ وينتقل يوسف بذلك من حياته الطبيعية الأولى إلى حياة أخرى جديدة، حياة الرق، ولكن ثم في التمهيد للقصة رأينا علاقته بربه ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عليكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ (٦) فيتجلى أثر تلك العلاقة هاهنا، في استرجاع شديد الأهمية ليوسف، مع انتقاله من الحرية إلى العبودية، ويوجز السياق ذلك ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) ﴾ ومن ثم يُحذف جانب من حياته (مرحلة الصبا) فيأتي المقطع السردي الرابع (٢٢- ٣٤) محنة المراودة، ليتشكل في أنماط زمنية مختلفة، تبدأ باستباق (تمهيدي) ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ يلي ذلك مشهد حواري بينه وبين امرأة العزيز

﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) ﴾ ثم يرد الحديث عن الهم موجزا سريعا في صور متلاحقة، ملائمة للموقف النفسي ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ومن ثم يعود السياق إلى إيقاعه الطبيعي ليمنع أن يلحق بيوسف أي ظن يسيء إليه (في استرجاع ثان) ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾ ثم يعود الإيجاز السريع، والصور المتلاحقة مرة أخرى ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ومن ثم تهدأ الأحداث، ويلي الإيجاز مشهد حواري ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ثم يأتي حديث نسوة المدينة ويستمر المشهد الحواري، يتخلله إيجاز دعوة امرأة العزيز للنسوة ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ يعود بعده المشهد بحوار بين امرأة العزيز والنسوة، ثم بين يوسف وربه، وبعد ذلك بينه وبين صاحبي السجن، في المقطع السردي الخامس (٣٥- ٤٩) حيث ينتهي بإيجاز وقطع بعده تأتي رؤيا الملك...

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) ﴾ ويعود المشهد بحديث الملأ، ثم الذي نجا منهما، ثم تأويل يوسف للرؤيا، فشهادة نسوة المدينة وامرأة العزيز ببراءة يوسف (المقطع السردي السادس) وبعد ذلك حوار يوسف مع الملك، يلي ذلك إيجاز لمدة من حياة يوسف ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ ثم استباق خارجي ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ ويأتي اللقاء الأول بين يوسف و إخوته (المقطع السردي السابع) ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عليه فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) ﴾ ويدور حوار بينه وبينهم يطلب أخاه، ثم بينه وبين فتيانه، ثم بين إخوته وبين أبيهم يطلبون منه أن يرسل معهم أخاهم، وهو يسترجع ذكري يوسف حين استأمنهم عليه من قبل، ثم يرسله معهم ويوصيهم، ويستمر المشهد الحواري، وتتغير الشخصيات، ويحذف حدث الرحلة إلى مصر، ويسترجع الحوار جزءًا (مكذوبا) من ماضي الشخصيات ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) ﴾ ويستمر الحوار، بين يوسف وإخوته، وبينهم وبين أنفسهم ثم يتداخل تداخلا لطيفا بحوارهم مع أبيهم... ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العليم الْحَكِيمُ (٨٣) ﴾ وثم حذف لحدث الانتقال إلى الأب، وأيضا هنا استباق حدسي ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾، ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ومن ثم كان تعرفهم على يوسف سريعا حين سألهم ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ ويستمر المشهد الحواري بين يوسف وإخوته، بعد قطع حدث قدومهم إليه، ثم بين إخوته وأبيهم، ويحذف كذلك حدث قدوم أبويه (المقطع السردي الثامن) ويستمر الحوار بين يوسف وبينهم جميعا ثم بينه وبين أبيه، في استرجاع داخلي لحدث الرؤيا في طفولة يوسف، ولأحداث أخرى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ

أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العليم الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾ وتختم القصة بمشهد يناجي فيه يوسف ربه، يثني عليه، ويدعوه ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾.

قصة قارون

تبدأ القصة باستباق تمهيدي موجز ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ موسى فَبَغَى عليهمْ ﴾ ومن ثم يأتي تفصيل ذلك البغي في إيجاز يعقبه مشهد حواري بين قارون والعارفين من قومه ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يلي ذلك استرجاع خارجي موجز ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ

مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾ ثم قطع فوصف يقدم قارون نموذجا لزينة الحياة الدنيا ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ويستمر المشهد الحواري بين الذين يريدون الحياة الدنيا والذين أوتوا العلم، وتأتي نهاية قارون في إيجاز ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وهنا يعود الغافلون من غفلتهم في استرجاع للعبرة البينة من قصة قارون ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ علىنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾.

قصص سليمان عليه السلام

أ- في سورة ص

تبدأ القصة باستباق داخلي، تمهيدي ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ ثم تبدأ الأحداث في الكشف عن أسباب هذا المديح، وتبيين تلك الأوابية التي يتصف بها سليمان تبدأ بإيجاز عرض

الصافنات الجياد، ثم مشهد حواري بينه وبين نفسه، وبينه وبين عارضي الجياد ﴿ إِذْ عُرِضَ عليه بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حتى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا على فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾ أما قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ فهو كلام معترض، للدلالة على يقظة قلبه، وشدة تعلقه بذكر ربه، فهو في غمرة انشغاله باستعراض الصافنات الجياد يذكر أنه قد أخطأ إذ أغفله الاستعراض عن ذكر ربه، وإن كانت هذه الغفلة لا تستمر حتى تتوارى بالحجاب، فيعود إلى ربه يستغفره ويسأله فيها ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فيستجيب له ربه، ولكن الخيل خلقها الله وسخرها للإنسان من قبل سليمان، فليكن له ما يريد: ملكٌ خاصٌ لم يكن لأحد قبله ولن يكون لأحد من بعده: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ وعلى هذا فالأقرب أن الفتنة التي

فتنها سليمان ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ كانت هي انشغاله بالصافنات الجياد عن ذكر ربه، إذ يعيدنا هذا الاسترجاع إلى الاستباق التمهيدي عن أوابية سليمان في بداية القصة، فهو استرجاع على استباق لتأكيد أوابيته، أي كثرة إنابته ورجوعه إلى ربه، فهو في لحظة الفتنة بالخيل كان جسدا لا روح فيه، حين شغله انبهاره بروعة الخيل عن ذكر ربه، لكنه سرعان ما يؤوب إلى ربه، يستغفره، ويرجع إليه فضل النعمة التي ينعم بها، ويسأله دوام الملك ما أحياه الله، فإنما الملك هبة من الله الوهاب.

ب- في سورة النمل

تبدأ القصة باستباق تمهيدي، مجمل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ (١٥) ثم بعد قطع لمدة من الزمن ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ يأتي مشهد يوجز فيه سليمان عظيم فضل الله عليه ويوضح كذلك ماهية العلم الذي آتاه الله إياه ﴿ وَقَالَ يا أيها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ ثم إيجاز يعرض ملكه، ويكتمل هذا العرض بمشهد ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حتى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨)

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴾ ثم قطع فإيجاز فمشهد ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) ﴾ ثم قطع مشار إليه، فمشهد حواري بين سليمان والهدهد ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾... ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٢- ٢٩) يلي ذلك قطع فمشهد حواري بين ملكة سبا والملأ من قومها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) ﴾... ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٠- ٣٥) ثم قطع فحوار بين سليمان ورسل الملكة ثم بين سليمان وملإه ٣٦- ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) ﴾ ثم قطع فحوار بين سليمان وملكة سبأ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ يقطعه استرجاع (خارجي) ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) ﴾[١٧].

ومن ثم تختم القصة باكتمال الحوار ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾.

قصة أصحاب الكهف

تبدأ القصة باستباق تمهيدي (تكراري) يختلف عن بقية الاستباقات التي مرت بنا حتى الآن، إذ تعرض القصة بكاملها في ثلاث لقطات موجزة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) ﴾ ثم على الترتيب نفسه تُفصل الأحداث في هيئة استرجاعات خارجية قبل دخولهم إلى الكهف، ثم داخلية بعد ذلك، ويبدأ تفصيل الأحداث بوصف أصحاب الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ ثم مشهد حواري بينهم وبين أنفسهم يفصّل الاعتزال والإيواء

إلى الكهف، ومن ثم توجز المدة التي أمضوها في الكهف ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾... ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨) ﴾ هنا يعرض الحدث في تواتره؛ يُعرَض مرة واحدة ما يحدث مرات متعددة، وهو الحدث الوحيد المتعلق بهم طوال مدة لبثهم، طلوع الشمس وغروبها عليهم، وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال.

ويستمر الحوار بينهم بعد بعثهم متسائلين عن مدة لبثهم، وبعد إيجاز لمدة من حياتهم ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (٢١) يتنازع القوم بينهم أمرهم ويستمر الحوار ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) ﴾ ويستمر الحوار في صيغة استباق العليم ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾.... - ٢٦).

قصة صاحب الجنتين

تبدأ القصة باستباق يوجز عطاء الله لأحد رجلين متحاورين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾... (٣٤) [سورة الكهف]. ومن ثم يسيطر الحوار على القصة، في مفاخرة صاحب الجنتين، ونصح صاحبه له (٣٤- ٤١) وتختم بوصف يتوقف فيه الزمن، فقط تُعرض صورة صاحب الجنتين في يأسه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا ليتني لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ وفيها استرجاع لما قال له صاحبه من قبل ﴿ وَيُرْسِلَ عليها حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) ﴾ هذا والقصة كلها استرجاع لقوله تعالى من قبل: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾.

قصة أصحاب الجنة

تتكون القصة من أربعة مقاطع سردية يتوالى فيها الزمن تاريخيا (خطيا) بعد بداية القصة التي تأتي على هيئة استرجاع خارجي (خارج القصة) يتصل بقصة أصحاب الجنة بعلاقة المشابهة في الابتلاء وعلى الاسترجاع يأتي استباق داخلي (إعلاني) ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) ﴾ [سورة القلم]. وبعدها تعرض الأحداث في لقطات سريعة يبدو فيها التوالي الزمني واضحا ﴿ فَطَافَ عليها طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عليكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ﴾ ومن ثم تختم القصة بمشهد حواري بين الإخوة وبعضهم يستعيدون فيه ما كان من بعضهم من نصح، وما كان منهم من ظلم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) ﴾ ومن ثم نعود مرة أخرى إلى

البداية باسترجاع يعيدنا إلى حاضر السرد ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ فهكذا كان عذاب أصحاب الجنة، ولكن هناك عذابا أكبر يوم القيامة. لو كان يعلم الذين بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة.

قصة ابني آدم عليه السلام

نبدأ القصة مع الاسترجاع الخارجي، وإيجاز أحداث القربان، ومن ثم يبدأ مشهد حواري بين الأخوين ﴿ وَاتْلُ عليهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾... (٣٠) [سورة المائدة]. ثم إيجاز أحداث القتل وإرسال الغراب ومن ثم يأتي مشهد الندم ليختم القصة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾.

قصة ذي القرنين

تتكون القصة من ست وحدات سردية، تتوزع على أربعة مواقع زمنية: الموقع الأول موقع حاضر السرد ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عليكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾ ومعه تبدأ الوحدة السردية الأولى بمفارقة زمنية تأخذ شكل استباق داخلي يحدد موضوع القصة، وأنها خبر ذي القرنين ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عليكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) ﴾ وبعد إيجاز مدة من الزمن ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) ﴾ يتم الانتقال زمنيا إلى الموقع الثاني ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴾ (٨٩) ومن ثم يبدأ حوار بين الله وذي القرنين (٨٩– ٨٨) يليه إيجاز ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) ﴾ يعقبه الموقع الزمني الثالث ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴾ ثم إيجاز ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) ﴾ يليه الموقع الزمني الرابع الذي يسيطر عليه المشهد الحواري بين ذي القرنين والقوم الذين وجدهم بين السدين ﴿ حتى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا (٩٣) قَالُوا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾... (٩٣– ٩٨) ومن

ثم تختتم القصة باستباق خارجي ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾ أو هي اختمت من قبل بالمشهد الحواري السابق.

خصائص البنية الزمنية في القصص القرآني

رأينا كيف يهيمن المشهد الحواري على السرد القصصي القرآني، ومن خصائص المشهد أننا فيه نجد التحام الزمن القصصي بالزمن السردي، ويصير حاضر السرد هو حاضر الأحداث، فيتحول المتلقي إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه، ينفعل بها، ويتفاعل معها كأنه واحد من شخصيات المشهد. ويتناوب الحذف، والإيجاز، والمشهد كثيرا. الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصي، وهو يتراوح بين أن يكون حذفا ضمنيا، يستدل عليه من ثغرة في التسلسل الزمني، أو انحلال للاستمرارية السردية كما نجد مثلا في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ(٧٣) ﴾ [سورة ص]. وكما رأينا فإن جل حذوف القصص القرآني من هذا النمط، وفي مواطن كثيرة نستطيع الاستدلال على الحذف من مواضع أخرى في سياقات مختلفة، ومرة واحدة فقط وجدنا حذفا محدود المدة، في قوله تعالى من قصص نوح عليه السلام في سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) ﴾- والإيجاز يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها في السياق ولكن في غير تفصيل، كما في وظيفة الإهلاك والنجاة، في قصص الأنبياء، التي تأتي- غالبا- موجزة، فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة- والمشهد يعرض الأحداث الرئيسية المشكلة للعمود الفقري للنص، وهو يأتي غالبا على هيئة حوار خارجي أو مونولوج داخلي[١٨]. ولكن " بالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر صرفا للمشهد، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا... فإن ما يميز مشهدا ما هو كم الإخبار القصصي والمحو النسبي للراوي "[١٩] و" يعطي المشهد للقارئ إحساسا بالمشاركة الحادة في الفعل، إذ إنه يسمع عنه معاصرا وقوعه كما يقع بالضبط، في لحظة وقوعه نفسها. ولا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها

صوت الروائي في قوله، لذلك يستخدم المشهد اللحظات المشحونة، ويقدم الراوي دائما ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في مشهد "[٢٠] ويرى ويليام هاندي، بحق، أن المشهد في العمل السردي يمكن أن يُنظر إليه على أنه مماثل للصورة في الشعر، ومن ثم يضيف أن " كلا من المشهد والصورة يمتلك الخصائص الأساسية نفسها:

١- كلاهما يعرض أكثر مما يوحي.

٢- كلاهما يشكل مظهرا مفردا لمعنى مضاعف.

٣- كلاهما يقصد إلى صياغة الخصوصية، أي نسيج التجربة.

٤- كلاهما موجه، أولا، إلى الحس- وليس إلى الفكر المجرد.

٥- كلاهما يتخطى المفهوم في احتوائه معنى أكبر مما يستطيع المفهوم أن يصوغه من خلال طبيعته الأصلية. "[٢١]، إنها اللحظات الأكثر توترا في القصة يعرضها المشهد الحواري (غالبا) في القصة القرآنية، كما رأينا مثلا في قصص الأنبياء، حيث تأتي دائما وظيفتا: الدعوة، والتكذيب على صورة مشهد حواري، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية في القصص القرآني بوصفه وسيلة دعوة. والوصف يكاد لا يوجد في القصص

القرآني اللهم إلا في مواضع معدودة، أظهرها ما قابلنا من وصف لقارون في سورة القصص ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه دمية تمثل زينة الحياة الدنيا، تُعرض في صمت ليفتن الناس بها. وكذلك وصف صاحب الجنتين في سورة الكهف. حين ضاعت جنتاه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾.

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمني القصة والسرد، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق، يهيىء نفس المتلقي، ويوجه توقعاته، كما رأينا في قصص آدم عليه السلام، حيث هناك الاستباق الإعلاني الذي يتصدر أكثر القصص، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين، وما يلي بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق، كما رأينا من رفض إبليس السجود لمخلوق طيني. وحين تبدأ قصة آدم في سورة طه باستباق داخلي عن نسيان آدم، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم. وكما رأينا أيضا في قصص سورة القمر، التي تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة، الذي كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء.

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة، كما في قصة آدم من

سورة طه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾ أو كما نرى في قصة ذي القرنين من سورة الكهف: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا(٩٩) ﴾.

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص. فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام من سورة هود: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية؛ وهذا راجع أولا- لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة. وثانيا- لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة. وربما تركز الاسترجاع في قصص نبي من الأنبياء، كما في قصص لوط عليه السلام من سور: القمر، والشعراء، والحجر، والعنكبوت. في القمر يأتي الاسترجاع للتذكير بأن ما حل بقومه إنما كان جزاء وفاقا لما قابلوا به دعوته لهم وإنذاره، من تجاهل وتكذيب، ومثل ذلك في سورة الشعراء.

بينما في سورتي الحجر والعنكبوت، فيأتي استرجاع جانب من قصص إبراهيم عليه السلام. وفي قصة موسى والعبد الصالح نجد الاسترجاع أربع مرات متتالية، كما رأينا من قبل.

وتجدر الإشارة إلى أن القصة القرآنية، لوجودها في فضاء النص القرآني، تخضع لزمنيتين مختلفتين: الأولى تتعلق بزمن القصة القرآنية، وتتعلق الثانية بزمن النص القرآني. زمن القصة يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها، وزمن النص القرآني يحيط بزمن القصة، ويحتويه، ويمكن أن نعده زمنا حاضرا للسرد، أو زمنا أول تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه. فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمني للنص، كما رأينا مثلا في قصة أصحاب الجنة: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) ﴾ أو في قصص سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفي غيرها.

الهوامش:

(١) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 89-90

(٢) يقترح محمد سويرتي ترجمة Analepse بالبعدية، و Prolepse بالقبلية، لأنهما، فيما يقول، يقابلان مصطلحي جنت Genette من حيث إبعاد الدلالة النفسية . انظر، محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي، الدار البيضاء ١٩٩١ جـ٢، ص: ٥٣ وما بعدها

(٣) Gérard Genette, Figures III, P. 90

(٤) Ibid. P. 90

(٥) Ibid. P.90-91

(٦) Ibid. P. 109

(٧) Ibid. P. 111

(٨) Ibid. P. 113

(٩) هناك اختلاف في ترجمة المصطلح، يضعنا وجها لوجه أمام مشكلة نقل المصطلح الغربي إلى لغتنا العربية، وما ينتج عن ذلك من اختلاف ربما يكون طبيعيا مع البدايات، ولكن بعد مرور كل هذه السنوات (البداية كانت في أوائل القرن الماضي مع الشكليين الروس) فإن هناك تقصيرا ما، ربما لا يسمح به ما نرى من اختلاف أصحاب المنهج المؤسسين فيما بينهم في وضع المصطلح أساسا تبعا لمفهومات خاصة كما فعل جنت Genette مفارقا البنيويين في استعماله لـ Analépse بدلا من Retrospéction مقابلا للدلالة النفسية التي يحملها المصطلح الأخير، وللسبب ذاته يفضل استعمال Prolepse عن Anticipation . وكذلك يطلق على الوقفة اسم Pause ويطلق عليها تودوروف Todorov L'analise . و المشهد يسميه جنت Genette بـ Scene بينما يسميه تودوروف Todorov بـ Le style direct . وكذلك المجمل أو الموجز، يسميه جنت Genette بـ Sommaire وتودوروف Todorov بـ Résumé..... إلخ

(١٠) Gérard Genette, Figures III, P. 122

(١١) Ibid. P. 129

(١٢) Ibid. P. 130

(١٣) انظر: سلوميت كنعان، التخييل القصصي، ص ٨٨. وعلوط محمد: التواتر السردي في الخطاب الروائي، مجلة الكرمل، العدد ٢٨، ١٩٨٨، ص. ٩١

(١٤) Gérard Genette, Figures III, P.145

(١٥) سلوميت كنعان، التخييل القصصي، ص ٨٥

(١٦) انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩، ١/ ١٢١

(١٧) قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) ﴾ إذا كان من كلام الملكة- وقد يكون فلعلها أسلمت عند ورود كتابه إليها، فقد وصفته بأنه كتاب كريم، فأغلب الظن أنها لم تستشر قومها إلا بعد أن قرأته ورددت فيه النظر مرات ومرات ورأت فيه رأيها والنص يحتمل كذلك أن يكون هذا من كلام سليمان؛ لقوله تعالى ﴿ ولقدْ ءاتيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ علْمًا ﴾ فكان يعلم أن الذي صدها هو ما كانت تعبد من دون الله؛ إذ كانت من قوم كافرين

(١٨) Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd.du Seuil, coll.Points, 1995, P. 713

(١٩) سلوميت كنعان، التخييل القصصي، ص ٨٥

(٢٠) عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي. مجلة فصول العدد الثاني، المجلد الثاني عشر، ١٩٩٣، ص ١٢٩

(٢١) ويليام هاندي: نحو نقد شكلي للرواية، ترجمة عيسى العاكوب، مجلة شئون أدبية، السنة الثانية، العدد٦، ١٩٨٨، ص: ٦٩